هي الحرب على الفلسطينيين بالمطلق. وكما يقول احد الاسرائيليين: «بيننا وبين الفلسطينيين لا خيار؛ اما نحن، واما هم».

وبقدر ما استخدمت اسرائيل الوسائل التي في يدها لضرب الفلسطينيين، لجأت، بالتوازي، الى استعداء الحكومات العربية على الفلسطينيين من خلال اللجوء الى الاعتداء على أراضي تلك الحكومات، من جهة، والضغط على مصالحها من خلال «الحلفاء» المشتركين بينها وبين تلك الحكومات، من جهة أخرى، وربط ذلك بما تقوم به تلك الحكومات من أعمال تؤدي الى لجم النشاط الفلسطيني ضد اسرائيل.

ونستطيع الجزم بان اسرائيل فشلت، حتى الآن، في تحقيق اهدافها من حربها المعلنة على الشعب الفلسطيني. حتى ان رئيس حكومة اسرائيل الحالية، شمعون بيرس، اقر، في المؤتمر الاخير لحزب العمل الاسرائيلي، بـ «ان الفلسطينيين شعب»، كما ان الفلسطينيين استطاعوا اختراق الاسرائيليين وتمكنوا، بنضالهم العنيد، من دفع فئات اسرائيلية الى رفع شعارات الدعوة الى «التعايش بين الشعبين» والبحث في حلول تطوي صفحة المأساة الفلسطينية.

وبقدر ما فشل الاسرائيليون في طمس الجنس الفلسطيني وقضيته، بقدر ما نجحوا في استعداء العرب على الفلسطينيين. والنجاح الاسرائيلي على هذه الجبهة مرتبط بتوفر مصالح ودوافع لدى العرب تتقاطع مع المصالح الاسرائيلية. ولولا ذلك، لما كان ممكناً تحقيق مثل هذا النجاح الذي يصح فيه القول: «وظلم ذوي القربى أشد مضاضة».

اولويات السياسة العربية: حفظ الكيان

شكلت اتفاقيات الهدنة العام ١٩٤٩ اعترافاً من قبل الحكومات العربية التي وقعت عليها، آنذاك، بوجود اسرائيل كأمر واقع، وتلك كانت «بذرة» التعارض بين الفلسطينيين والحكومات العربية التي حاول بعضها الذهاب بتلك الاتفاقيات نحو السلام مع اسرائيل التي رأت، حسب تعبير دافيد بن ـ غوريون، «ان اتفاقيات الهدنة كافية الآن». وشكلت عدوانيتها ضد البلدان العربية المجاورة لها الارضية التي عليها استمر الشعور العربي في نظرته اليها كجسم غريب يهدد المنطقة، ومن ثم استمرار شعار التبني العربي لقضية فلسطين. فبعد الاتصالات العربية ـ الاسرائيلية، عبر اميركا، في بداية الخمسينات، للتوصل الى تسوية سلمية، تجددت المشاعر العربية بالتهديد الصهيوني للكيانات العربية منذ ١٩٥٥، بعد الهجوم الاسرائيلي على ثكنة مصرية في قطاع غزة، والهجوم الاسرائيلي على مركز التوافيق السوري. وشهدت المنطقة العربية، منذ ذلك التاريخ، نهوضاً وطنياً وحدوياً، تمثل في المواقف الداعمة لثورة الجزائر ومصر الناصرية بعد حرب السويس (١٩٥٦)، تُوِّج بالوحدة السورية ـ المصرية العام ١٩٥٨. هذا النهوض أحيا الامل الفلسطيني «بالحل العربي» لقضية فلسطين. لكن امل الفلسطينيين خاب بانفصال سوريا عن مصر في اواخر العام ١٩٦١، الذي عبر، موضوعياً، عن حالة رسوخ الكيانات العربية كدول ـ مجتمعات، لكل منها مصالحها الخاصة. وترافق ذلك بالاعلان، عربياً وفلسطينياً، عن «الخصوصية الفلسطينية» وضرورة تنظيم الشعب الفلسطيني للدفاع عن قضيته. وحل شعار «التضامن العربي» محل شعار «الوحدة العربية».